ISSN: 2706-6495

# نشأة المدارس وتطورها في مصر قبل العصر الأيوبي وزمن صلاح الدين الأيوبي

# The Emergence and Development of Schools in Egypt during the Ayubi Age

**إعداد الأستاذ الدكتور/ يحيى بن حمزة الوزنة السليماني**

برفسور في التاريخ، قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية الشريعة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية

**ملخص البحث:**

يهدف البحث لبيان شأن أهمية المدارس ومنهجية التعليم المُدرسَة على الصعيد الفكري والعقائدي والاجتماعي لأنها نتاج أيديولوجي مجتمعي متبلور لكافة الشعوب فدراستنا تتمحور في تعريف المدرسة بالمصطلح اللغوي الأدبي وكيف كانت نشأتها في المساجد لتعليم العلوم الشرعية ومن ثم أصبحت أماكن مخصصة مستقلة عن دور العبادة وتطورت العلوم المختلفة بها كالعلوم الأدبية والطبيعية ثم كيف أن الخلفاء كان لهم دورا مهماً لجعل المدرسة تلعب دورا سياسيا منهجياً علمياً وكيف أن التوجه الديني يتبع فكر الحاكم ومعتقداته واهتماماته العلمية، فنستنتج تحول مفهوم المدارس من مكان لنشر العلم إلى منبراً سياسياً وانتقال الحكم للمدارس والتعليم من الحكم الأرستقراطي والاوتوقراطي إلى الحكم البيروقراطي بمنهجية تاريخية متسلسلة كما سيتم تسليط الضوء بالبحث على المدارس في مصر على وجه الخصوص قبيل العصر الأيوبي وخلاله وأنواع الجوامع والمدارس التي انتشرت قبل وبعد العصر الأيوبي ودور الخليفة صلاح الدين الأيوبي وقوة تأثيره على المدارس فكريا وسياسيا والهيكلة الاستراتيجية المنهجية والمنظمة للمدارس التي أعتمدها واستمرت حتى وقتنا هذا واهتمامه بالعلماء وطلاب العلم. ويوصي البحث بأهمية وإنشاء المدارس الحيادية دينياً والمتعمقة علمياً وبحثياً، والاهتمام بالمدرسة والعلماء لما هذه الشريحة المجتمعية من قوة تأثير في التغيير والتأثير وهو الوسيلة الفعالة لنشر أو تغيير الأيديولوجية الثقافية لأي مجتمع.

**الكلمات المفتاحية:** المدرسة، التعليم، سياسيا، الحكام، العلماء

ISSN: 2706-6495

# The Emergence and Development of Schools in Egypt during the Ayubi Age

**Dr. Yahya bin Hamza Al-Wazana Al-Sulaymani**

Department of History and Islamic Civilization, College of Sharia, Umm Al-Qura University, Saudi Arabia

## Abstract:

The research aims to demonstrate the importance of schools and the school methodology of education at the intellectual, ideological and social levels, because it is the product of a societal ideology crystallized for all peoples. Such as literary and natural sciences, then how the caliphs had an important role in making the school play a political, methodological and scientific role, and how the religious orientation follows the ruler's thought, beliefs and scientific interests. We conclude the transformation of the concept of schools from a place to spread knowledge into a political platform and the transfer of governance to schools and education from aristocratic and autocratic rule to bureaucratic rule with an anecdotal historical methodology. The research will also shed light on schools in Egypt in particular before and during the Ayubid era and the types of mosques and schools that spread before and after the Ayubid era The role of the caliph Salah al-Din al-Ayubi and the power of his influence on schools intellectually and politically and the strategic, systematic and organized structure of the schools that he adopted and continued until this time and his interest in scholars and students of science. The research recommends the importance and establishment of schools that are religiously neutral and in-depth scientifically and in research, and the interest in the school and the scholars due to the power of this segment of society influencing change and influence, which is the effective means to spread or change the cultural ideology of any society.

**Keywords:** School, Education, Politicians, Rulers, Scholars

## 1. المقدمة:

لقد أهتم المسلمون بانتشار الدين الإسلامي في جميع اقطار العالم وقام علماءهم بتعليم الدين الحنيف سواء القرآن الكريم أو الأحاديث الشريفة بالمساجد، ثم تطور بأنشاء المدارس الخاصة حتى يتلقى فيها الناس علوم الدين والأدب والطبيعة، وكان لرعاية الخلفاء والسلاطين للعلماء وطلاب العلم دور كبير في نشر هذه العلوم. كما كان تلقي العلم والمجالس والمباحث العلمية منتشرة جداً في جميع قصور السلاطين وحكام خلفاء الدول الإسلامية وكيف أن المدارس تتبع الأيديولوجية الفكرية والعقائدية للحكام آن ذاك. فسوف نبحث في نشأة المدارس وتطوها في مصر قبيل العصر الأيوبي التي كانت خاضعة تحت سيطرة الفاطميين ولأن مذهبهم شيعي، فقد قاموا بنشر مذهبهم في مصر عن طريق المساجد والجوامع المختلفة، وإنشاء المدارس لترسيخ الأفكار والحكم الأوتوقراطي في تلك الحقبة، ثم جاء العصر الأيوبي وهو عنوان بحثنا لنعرف كيف نشأة المدارس وتطورت في مصر في هذا العصر بالتحديد. ونظراً لأن مذهبهم سني فقد قاموا بإنشاء مدارس لتكون مراكز إشعاع للمذاهب السنية، حقيقةً ان البحث يكشف لنا أهمية دور المدارس الممتد من كونه مواد علمية تدرس إلى حركة تغر ترتفع بها الأمم وتنمو وأنها في كثير من الأحيان تكون منبر لنشر الأفكار والمعتقدات السياسية والتي كانت لبنتَها الأولى المساجد وكيف ان العلماء وطلاب العلم هم نواة التغيير واساس الأيديلوجية الثقافية للمجتمع والبحث يتناول محاور النقاط التالية:

أولاً: تعريف المدرسة.

ثالثاً: صلاح الدين الأيوبي والمدارس.

### 1.1. أهمية البحث:

توضيح الأهمية القصوى لدور المدارس والمنهج التعليمي الذي تتكون منه الأيديولوجية المجتمعية لشعوب وشباب الأمم، والتي هي لبنة العقول المستقبلية لتكوين خارطة حضارة المجتمع في شتى مسارات حياتهم العملية والعلمية والعقائدية والأخلاقية.

### 2.1. أهداف البحث:

1- تعريف المدارس بالمعنى اللغوي الصحيح كما جاء في معاجم اللغة العربية، وكيف أن المساجد كانت المحتوى الأول لها.
2- بيان أهمية المدارس والمناهج المدرسة في نشر الأيديولوجية الثقافية للمجتمع وقوة تأثيرها على هوية الفرد العلمية والعملية.
3- دراسة تاريخ المدارس في مصر في العصر الفاطمي والأيوبي والمنعطف الذي تحولت اليه.
4- المنهج الاستراتيجي والإداري التنظيمي لذي وضعه صلاح الدين الأيوبي في التعليم.
5- الدور المحوري الذي يلعبه العلماء وطلاب العلم في التأثير على المجتمع.

## تعريف المدرسة:

كان لانتشار المذهب الشيعي (العاطي،1975) وسيطرة الفاطميين على كل مصر والشام ــ فضلاً عن امتداد نفوذهم إلى شبه الجزيرة العربية ووقوع العراق مقر الخلافة العباسية تحت سيطرة بنى بويه الذين يدينون بالمذهب الشيعي – أثره في نفوس جمهرة المسلمين من أهل السنة، لذلك ما كادت تنحسر موجة المذهب الشيعي عن هذه البلاد نتيجة لضعف الدولة الفاطمية حتى بدأ رد الفعل بالرغبة في تدعيم المذهب السني ((وتصحيح عقائد)) الناس،

وكان السبيل السليم لذلك هو إنشاء المدارس لتكون مراكز شعاع للفقه السني، وقبل البدء بذكر المدارس ونشأتها يصح أن نعرف أصل هذه الكلمة ((مدرسة)) فالمدارس في الأصل هي البيت أو الموضع الذي يدرس فيه القرآن. والمدارس هو الموضع الذي يدرس فيه (ابن منظور،1911). ودرس بمعنى فهم وتعلم وحفظ وبمعنى قرأ، فدرست الكتاب أي ذللته بكثرة القراءة حتى خف حفظه، ودرست السورة أي حفظته (الزبيدي،1944). ودرست أي تعلمت كقوله عز وجل ((وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست)) (سورة الأعراف، الآية 169) وفي الحديث ((تدارسوا القرآن أي أقرءوه وتعهدوه لئلا تنسوه)) (ابن الأثير،1963) أيضاً لها معنى الشخص الذي يقوم بالتدريس: والكتاب يدرسه ويدرسه درساً قرأه كأدرسه ودرسه (الزبيدي،1944).

ويرى البعض (غنيمة،1911) أن كلمة درس بهذه المعاني كلمة دخيلة على اللغة العربية. وربما نقلت إليها من اللغة السريانية أو العبرية حيث أن المدارس في العبرية هو صاحب دراسة كتب اليهود. والمدارس أيضاً بمعنى البيت الذي يدرسون فيه (الذهبي،1957). كما أن لنفس الكلمة عدة معان أخرى منها الاندثار والزوال وغير ذلك وهذا ما يدعو إلى الاعتقاد بأن الكلمة العربية تحمل هذه المعاني لفظا ومعنى واستعمالها بهذا المعنى قديم. أما استعمالها بمعنى القراءة فدخيل. وقد بدأت فكرة إنشاء المدارس في المشرق الإسلامي عندما مهد لظهورها بعض المدرسين الذين أقاموا بعض المدارس الخاصة بهم لإملاء الحديث أو الإلقاء محاضرات الفقه. من ذلك ما يقال من أبا حاتم محمد بن حبان البستي نسبة إلى بلده بست والمتوفى سنة 354هـ / 965م (السمعاني،1962) قد اتخذ من داره مدرسة لأصحابه، وأفرد منها مكانا لسكني الطلبة الغرباء من أهل الحديث والمتفقهة. وأنشأ بها خزانة للكتب أودع بها ما عنده من الكتب وعين لها خازناً يقوم بإحضار الكتب لمن يريد القراءة أو النسخ، وشرط عليه ألا يخرج منها شيئا خارج المدرسة، كما كان للطلبة الدارسين بها بعض الجرايات الخاصة بنفقتهم (ناجي،1966). ثم بدأت مع بداية القرن الخامس الهجري (أوائل القرن الحادي عشر الميلادي) إنشاء بعض المدارس بنيسابور(الزركشي،1996) إذ وجدت بها المدرسة البيهقية والمدرسة السعيدية بناها الأمير نصر بن سبكتكين أخو السلطان محمود الغزنوي لما كان والياً بنيسابور(المقريزي،1998)، ومدرسة ثالثة بناها أبو سعيد إسماعيل بن علي الاستراباذي، ومدرسة رابعة أيضاً بنيسابور بنيت للأستاذ أبي إسحاق.

وعن مدارس نيسابور أخذ نظام الملك هذه الفكرة وطورها وأنشا مدرسته التي سميت بالنظامية نسبة إليه (الزركشي،1996). ومنذ ذلك الوقت تبلورت فكرة المدرسة كمؤسسة كاملة تشتمل على المكان المعد لإلقاء الدروس، والطلبة المتفرغين للدراسة والرواتب التي تغنيهم عن الاشتغال بطلب الدنيا، وتضمن انقطاعهم لطلب العلم مع توفير المدرسين الأكفاء(الشيال،2001) المتفرغين لتعليم الطلبة. وقد تحمس نظام الملك لمدرسته الجديدة وكان دافعه إلى ذلك محاربة الشيعة بنفس أسلوبهم حيث أنهم اتخذوا التعليم أساساً لنشر تعاليم مذهبهم فاتخذوا نظام الملك المدرسة لمقاومة الدعوة الشيعية وتدعيم المذهب السني (الزركشي 1996).

وبدأ نظام الملك بعمارة المدرسة النظامية ببغداد سنة (457هـ / 1064م) وانتهى من بنائها في ذي القعدة سنة تسع وخمسين وأربعمائة ((من 13سبتمبر إلى 12أكتوبر)) 1066م وترجع شهرة هذه المدرسة إلى أنها ((أول مدرسة قرر بها للفقهاء معاليم)) (ابن الأثير،1997) وعلى ذلك فإن المدرسة باعتبارها مكاناً مخصصاً للدراسة يضم عدداً من الطلبة والمدرسين الذين يتناولون الرواتب المنتظمة سواء كان ذلك من إيراد أو وقف، لم تعرف بهذا المفهوم في العالم الإسلامي إلا بعد إنشاء المدارس النظامية (الاكفاني،1439هـ).

وقد وقعت حادثة طريفة يوم افتتاح المدرسة النظامية ببغداد (ابن كثير،1998)، إذ جمع نظام الملك الفقهاء والأعيان لحضور الدرس الأول بها والذي عين له الشيخ أبا إسحاق الشيرازي، فجاء الشيخ ليلقى الدرس ((فلقيه صبي في الطريق فقال يا شيخ كيف تدرس في مكان مغصوب؟ فرجع الشيخ واختفى فلما يئسوا من حضوره ذكر الدرس بها أبو نصر بن الصباغ عشرين يوماً. ثم إن نظام الملك احتال على الشيخ أبي إسحاق ولم يزل يرفق به حتى درس بها)) (العيني،2010).

وإذا كان هذا موقف الشيخ الشيرازي وحرصه على ألا يلقي الدرس في مكان به شبهة (محبوبة،1999) ألا يكون قد بنى من مال حلال، فإن موقف العلماء والفقهاء من بناء هذه المدارس التي عينت فيها الأرزاق والأجور للفقهاء كان مزيجا من الأسف والاستنكار.

لأن وجهة نظر العلماء أن الإنسان يسعى إلى العلم كغاية في حد ذاته وليس كوسيلة للكسب والتعيش منه. ولذلك رأوا أن من يتخذ من العلم حرفة يكتسب منها يكون قد خرج عن قاموس العلماء (محبوبة،2010)، وصار شبيها بهم لأنه لا يتحلى من بأخلاقهم ((ولقد كشف علماء ما وراء النهر بهذا الأمر ونطقوا به لما بلغهم بناء المدارس ببغداد فأقاموا مآتم العلم وقالوا لو كان اشتغل به أرباب الهمم العلية والأنفس الزكية الذين يقصدون العلم لشرفه والكمال به فيأتون علماً ينتفع بهم ويعلمهم وإذا صار عليه أجرة تدانى إليه الأخساء وأرباب الكسل فيكون سبباً لارتفاعه)) (عبد العاطي،1975). ورغم أن الوزير نظام الملك لم يكن أول من ابتدع المدرسة(ابن الأثير،1997) إلا أنه أول من أسسها بمعناها المفهوم في العالم الإسلامي بعد ذلك، إذ أصبح مثالاً يقتدى به الأمراء والسلاطين وعملوا على تقليده في تبني حركة إنشاء المدارس وبالإضافة إلى ما كان وراء هذه الحركة من دوافع دينية وسياسية فيجب ألا نغفل العامل الشخصي وهو أن نظام الملك كان مغرماً بمجالسة الفقهاء والعلماء ويقضي معهم معظم أوقاته (( فقيل له : هؤلاء شغلوك عن كثير من المصالح فقال : جمال الدنيا والآخرة)) (العيني،2010) وكان يقول : إن العلماء يبينون له عيوبه وظلمه فيرجع عن كثير مما عزم عليه وكان يوصي أولاده أن يسيروا سيرته في معاملته للعلماء وتفقد أحوالهم فمن رسالة إلى ولده فخر الملك يوصيه بالعلماء ((... وينظر إلى الشيوخ والموالي والأئمة بعين الحرمة أيضاً وأن يفتقدهم جميعا ويسأل عن سبب غيبتهم )) (ابن الأثير،1997)ومن كتاب أخر أرسله إلى أبن جهير وزير الخليفة المقتدي بأمر الله العباسي الذي تولى الخلافة من سنة 467هـ إلى 487هـ ( 1074م – 1094م ) يتضح منه أن من الأسباب التي دعته لبناء المدارس أن تكون مقراً للعلماء ومكاناً لتكريمهم حيث يقول في رسالته (( وقد بنينا لهم مدرسة تصير مأواهم ويتخذونها في السراء والضراء مثواهم )) (ابن القاضي،1971). ولم يكن نظام الملك متعصباً لمذهب من مذاهب السنة دون أخر (ابن كثير 1998). حقيقة أنه أنشاء مدارسه لتدريس المذهب الشافعي الذي يدين به ولكنه في نفس الوقت كان يظهر تسامحه مع أصحاب المذاهب السنية الأخرى. فقد حدث أن قامت فتنة بمدينة بغداد سنة 475هـ / 1082م بين الشافعية والحنابلة بسبب أحد علماء الأشاعرة وعظ بالمدرسة النظامية ((وكان يذكر الحنابلة ويعيبهم)) (المقريزي،1998) فلم يتحيز نظام الملك لأي الفريقين ولكنه عمل على فض هذا الخلاف، وكتب للإمام الشيرازي شيخ المدرسة النظامية يحثه على إنهاء هذه الفتنة وهذه الرسالة خير شاهد على موقفه من المذاهب السنية المختلفة حيث يقول: ((إن واجب السياسة يقتضي عدم التحيز إلى طائفة دون أخرى وأنه الأولى به إذاعة السنن لا إشاعة الفتن. وأنه لم يؤسس النظامية إلا تكريماً للعلم واحتفاء بأهله وليس لتفريق واختلاف الأمة)) (زيان،1972) ومن العراق انتقل نظام المدرسة إلى الشام في عهد الزنكيين الذين نشأوا في ظل السلطنة السلجوقية، ذلك أن نور الدين محمود كان مثل نظام الملك شديد الحماسة لمذهب أهل السنة، فرأى في قيام هذه المدارس مؤسسات تقوم بنشر عقائد السنة تطبيقاً للدين الإسلامي السليم، فأنفق الكثير في سبيل إنشاء المساجد والمدارس. وكان يرى في ذلك تقرباً إلى الله تعالى،

ويذكر أن نور الدين كان قد أمر بإنشاء جامع بالموصل، فلما انتهى البناء أتوا إليه بأوراق الحساب فقال نور الدين: يا شيخ نحن عملنا هذا لله ودع الحساب إلى يوم الحساب ثم رمى بالأوراق في الدجلة (عبد العطي،1975) ويتضح من ذلك أن النزعة الدينية والعمل على مرضاة الله كان الدافع الأساسي وراء بناء المساجد والمدارس.

فإذا رجعنا إلى العامل الشخصي أو العامل الثقافي لنور الدين تجد أنه ((كان عارفاً بالفقه على مذهب أبي حنيفة ليس عنده فيه تعصب وسمع الحديث وأسمعه طلباً للأجر)) (ابن كثير،1998) وقد بنى نور الدين الكثير من المدارس للحنفية والشافعية في معظم البلاد الشامية في دمشق وحماه وحمص وبعلبك وغيرها.

وإذا كان نظام الملك يعد المؤسس الحقيقي للمدرسة بنظامها المعروف فإن نور الدين قد اقترن اسمه كذلك بإنشاء دور الحديث بكل من دمشق وحلب، فكان أول من أنشأ داراً للحديث بالعالم الإسلامي (ابن خلدون،1967) وكان لأهل العلم منزلتهم العالية عند نور الدين فكان (( يكرم العلماء ويعظمهم ويقوم إليهم ويجلسهم معه وينبسط معهم ولا يرد لهم قولاً ويكاتبهم بخط يده )) (ابن الوردي،1996) ويتضح من ذلك أن كلا من نظام الملك ونور الدين قد استغل المدرسة بنظامها الجديد لخدمة أغراض مذهبية وسياسية في آن واحد إذ استخدم كلاهما المدرسة لنشر تعاليم المذهب السني الذي تحمسا له (المقريزي،1998)، كما اتخذا منها أساساً لتوطيد سلطانهما في البلاد التي حكمها(شهبه،1971) وتجميع قلوب العامة حولهما (ابن الجوزي،1992). وهكذا حتى غدت المدرسة بشكلها الذي أسسه نظام الملك نموذجاً يحتذى للمدارس التي عرفها العالم الإسلامي ولاسيما في مصر مع إدخال بعض التعديلات.

## صلاح الدين الأيوبي والمدارس:

قامت المدارس أساساً لمحاربة المذهب الشيعي في كل من العراق والشام (بيومي،1925) أما مصر فقد ظهرت نواة المدارس وخصوصاً بالإسكندرية وهي مازالت مركزاً للدعوة الشيعية. ولكن لم يكن الغرض من قيام هذه المدارس محاربة المذهب الشيعي بقدر ما كانت مظهراً من التسامح، ثم كان استبداد صلاح الدين بالأمور وأصبح الخليفة العاضد الفاطمي معه مجرد رمز فقط لسيطرة الفاطميين على البلاد. أما السلطة الفعلية فكانت بيد صلاح الدين الذي عزل قضاة الشيعة في العشرين من جمادى الآخرة سنة 566هـ / 28 فبراير 1170م، وولى صدر الدين درباس قاضياً للقضاة (المقريزي،1997). ولم يستنب ابن درباس في القضاء عنه أحداً من الشيعة واتخذ كل نوابه من السنيين. ولما علم نور الدين ما صار إليه الوضع في مصر كتب إلى صلاح الدين بقطع خطبة العاضد وإقامة الخطبة للمستضئ العباسي (( فاعتذر عن ذلك بميل أهل مصر للعلويين)) (السيوطي،1967) ولكن الحقيقة أن الحياة كانت قد تغيرت بمصر منذ قدوم صلاح الدين إليها واختفت معظم شعائر المذهب الشيعي (عنان،1985)، كما أن الشيعة من المصريين لم يكونوا متحمسين لهذا المذهب الذي فرض عليهم (بردي،1963)، علاوة على الأعداد الكبيرة التي كانت لا تزال على سنيتها، ومع ذلك تردد صلاح الدين، وربما كان هذا التردد البادي منه يخفي وراءه مقاصده السياسية وتخوفه من سيطرة نور الدين محمود، ورغبة صلاح الدين في الاستقلال بمصر التي رأى أن يتخذها قاعدة للمذهب السني من ناحية وقاعدة للنضال المقبل ضد القوى الصليبية من ناحية أخرى. على أية حال لم يطل تردد صلاح الدين واستغل فرصة مرض العاضد وعزم على قطع خطبته فجمع العلماء والفقهاء واستفتاهم في ذلك فأفتوه بجواز قطعها. وكان أكثر المجتمعين مبالغة في الفتيا الشيخ نجم الدين الخبوشاني (حلمي،1945)، ومع ذلك ظهر التردد على صلاح الدين فما كان من الخبوشاني إلا أن صعد المنبر بجامع مصر قبل الخطيب في أول جمعة من المحرم سنة 567هـ /10سبتمبر 1171م ودعا للمستضئ بأمر الله العباسي فلم ينكر أحد ذلك.

فلما كانت الجمعة الثانية أمر صلاح الدين الخطباء بمصر والقاهرة بقطع خطبة العاضد وإقامة الخطبة للمستضئ بأمر الله العباسي (ابن شداد،1994) ونبع ذلك استيلاء صلاح الدين على القصور (ابن دقماق،1986) وأملاك الفاطميين لأنه كان قد استولى على السلطة بالفعل منذ تولية الوزارة. ولما كان الأزهر(المقريزي،1997) يمثل مركز الدعوة الشيعية وكان صلاح الدين قد قضى على معظم مظاهر هذه الدعوة فلم يكن أمامه سوى هذا الجامع الذي يذكر المصريين بدولة الفاطميين السابقة (بردي،1963) وما ارتبط به من طقوس الاحتفالات في الأعياد والمناسبات الدينية فكانت فتوى القاضي ابن درباس وفقاً لرأى الشافعي بأنه لا يجوز إقامة خطبتين للجمعة في بلد واحد (ابن شداد،1994) فأبطل إقامة صلاة الجمعة من الجامع الأزهر وأقرها بالجامع الحاكمي. وهكذا عادت مصر مرة أخرى إلى المذهب السني، وكان اختيار صلاح الدين للمذهب الشافعي ليكون المذهب الأول بمصر ما يدل على ذكائه وفطنته، إذ كان يغلب على المصريين اعتناق مذهبي مالك والشافعي قبل دولة الفاطميين، وكان للإمام الشافعي منزلة خاصة في نفوس المصريين لإقامته فترة من الوقت بمصر واشتغاله بالتدريس في جامع عمرو، بالإضافة إلى وجود قبره ببلدهم، هذا بالإضافة إلى اعتناق صلاح الدين نفسه للمذهب الشافعي. لذلك نجد أن المصريين استجابوا سريعاً لدعوة صلاح الدين أو على الأقل تظاهروا ((بمذهب مالك والشافعي واقتضى مذهب الشيعة والأمامية حتى فقد من أرض مصر كلها)) (المقريزي،1997). وبذلك انتقلت مصر من حكم الفاطميين إلى حكم الأيوبيين وبدأت بذلك عهداً جديداً يختلف في نظمه وسياسته عن العهد الذي سبقه، ومن شأن هذا التغيير (أن يطبع العصر بطابع جديد ويوجه الحياة العامة والخاصة للأفراد والجماعات وجهة ملائمة لطبيعة العهد الجديد) (المقريزي،1997). الذي تميز بسياسة دينية سنية وأدت هذه السياسة دون شك إلى قيام الكثير من المؤسسات التعليمية التي أخذت في التطور والنمو طوال العصر الأيوبي. وجاء العصر المملوكي ليجد نظاما مكتمل النضج للمدرسة خلفه له عصر الأيوبيين، وثمة حقيقة هامة هي أن المصادر الباقية من العصر الأيوبي، ومن ثم فإن الصورة الكاملة لمدارس العصر الأيوبي لا يمكن الوصول إليها إلا إذا اعتبرنا أن الشكل الذي عرفته مدارس العصر المملوكي ما هو إلا امتداد لنظام المدارس في العصر الأيوبي الذي أورثه إياه. أما عن سياسة صلاح الدين التعليمية (ابن ايبك،1982) فبالرغم من خضوعها وتوجيهها لأهداف سياسية واستغلالها لتقوية نفوذه الداخلي بمصر التي اتخذ منها قاعدة أساسية لتحقيق مطامعه للاستقلال بها أولاً بعيداً عن سيطرة نور الدين ثم لتحقيق أحلامه للاستيلاء على الشام فيما بعد ليتمكن من محاربة الصليبيين وطردهم من الأراضي المقدسة وظهوره بصورة سلطان الإسلام القوي المجاهد الذي تمكن من القضاء على الدولة الشيعية بمصر وتحرير الكثير من الأراضي المقدسة (المقريزي،1998).

إلا أننا نجد أيضاً سبباً ذاتياً نابعاً من شخصية صلاح الدين بحكم تدينه وثقافته الواسعة فقد كان ((حسن العقيدة كثير الذكر لله تعالى، قد أخذ عقيدته عن الدليل بواسطة البحث مع مشايخ أهل العلم وأكابر الفقهاء وتفهم من ذلك ما يحتاج إلى تفهمه بحيث كان إذا جرى الكلام بين يديه يقول فيه قولاً حسناً وإن لم يكن بعبارة الفقهاء)) (ابن خلكان،1948). كما كان كثير السماع للقرآن الكريم وتلاوته شديد الرغبة في سماع الحديث الشريف، وإذا سمع عن شيخ له سند ورواية عالية سأل عنه فإن كان الشيخ يريد الحضور عنده أحضره وسمع عليه، وهو ومن يحضر من أولاده وحاشيته. أما إذا كان الشيخ ((ممن لا يطرق أبواب السلاطين ويتجافى عن الحضور في مجالسهم سعى إليه وسمع عليه)) (شلبي،1981) احتراماً للعلماء وإجلالاً مع إكرامهم وتوفير سبل العيش لهم يقول ابن شداد (( وكان يوصينا بألا نغفل عمن يجتاز بالمخيم من المشايخ المعروفين حتى تحضرهم عنده وينالهم من إحسانه )) (ربيع،1964) وبلغ من اهتمامه بتعليم الأطفال القرآن الكريم وتشجيعهم على ذلك أنه مر يوماً على صبي صغير

بين يدي أبيه وهو يقرأ القرآن (( فاستحسن قراءته، فقربه وجعل له حظاً من خاص طعامه ووقف عليه وعلى أبيه جزءاً من مزرعة)) المقريزي،1998).

أما عن تأسيسه للمدارس فقد سبق أن أشرنا إلى أنه بنى مدرستين إحداهما للشافعية والأخرى للمالكية أثناء وزارته للعاضد في أوائل سنة 566هـ / 1170م وكان الهدف من بنائهما أن يهيئ الأذهان لقبول العودة إلى المذهب السني خاصة وأن معظم سكان مصر كانوا من المالكيين والشافعيين. أما فيما يتعلق بالمذهب الحنفي (الحنبلي،1986) فيبدو أنه لم يكن منتشراً في مصر قبل ذلك إلا أن عدد الحنفية ازداد كثيراً مع دخول جيوش نور الدين إلى مصر صحبة أسد الدين شيركوه، فقد كان نور الدين حنفياً متحمساً (( فنشر مذهب أبي حنيفة رحمه الله ببلاد الشام ومنه كثرت الحنفية بمصر وقدم إليها أيضاً عدة من بلاد الشرق)) (الشهرستاني،1968) فبنى لهم صلاح الدين المدرسة السيوفية لتكون أول مدرسة لتدريس المذهب الحنفي في مصر (ابن خلكان،1948) وذلك في التاسع والعشرين من شعبان سنة 572هـ / أول مارس 1176م (( وقرر في تدريسها الشيخ مجد الدين محمد الجبتي (ابن تغرى بردي،1963) ورتب له في كل شهر أحدى عشر ديناراً وباقي ريع الوقف يصرفه على ما يراه لطلبته المقربين عنده على قدر طبقاتهم، وكانت هذه الأموال تأتيهم من ريع اثنين وثلاثين حانوتا بخط سويقه أمير الجيوش وباب الفتوح وحارة برجوان وقفها صلاح الدين للصرف منها على مصالح هذه المدرسة. ثم عرفت المدرسة باسم المدرسة السيوفية بسبب وجود سوق السيوفيين على بابها)) (السيوطي،1964)

أما الحنابلة فيبدو أنهم كانوا فئة قليلون في أوائل العصر الأيوبي، ويذكر المقريزي أنه ((لم يكن في الدولة الأيوبية بمصر كثير ذكر لمذهب أبي حنيفة وأحمد بن حنبل ثم أشتهر مذهب أبي حنيفة وأحمد بن حنبل في أخرها)) (ابن جبير،2002) لذلك لم نجد لهم أية مدارس في تلك الفترة سواء كانت خاصة بمذهبهم فقط أم مشتركة مع بعض المذاهب الأخرى اللهم إلا بعد ظهور المدارس الرباعية. وكانت أول محاولة لبناء مدرسة مستقلة لفقهاء الحنابلة ما قام بها عز الدين عبد الهادي بن شرف الإسلام الحنبلي وكان فقيهاً واعظاً ولكنه توفى قبل إتمامها في سنة 586هـ -1190م وكان عز الدين ممن حضر إلى مصر صحبة أسد الدين شيركوه (شلبي،1983).

أما صلاح الدين فكان شافعي المذهب على عقيدة الشيخ أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ابن الزيات،1968) وشرط أوقافه التي وقفها على المدارس لأصحاب هذا المنصب وكان استحواذ صلاح الدين على مصر مشجعاً لكثير من العلماء والفقهاء السنية للحضور إليها والإقامة بها داعين الناس للعودة إلى المذهب السني وتفقيههم بأمور مذهبهم وكان منهم الجوشاني (الحنبلي،1996) الذي لعب دوراً هاماً في إقامة الخطبة للعباسيين كما عرف عن تعصبه للمذهب الشافعي. وكان صلاح الدين يعظمه ويحترمه وعمر له مدرسة بجوار قبر الإمام الشافعي سميت أحيانا بالناصرية بالغرافة تفرقة لها المدرسة الناصرية بجوار جامع عمرو، وأحيانا أخرى بالمدرسة الصلاحية، ثم درج الناس على تسميتها بالشافعي (المقريزي،1998)وبلغ من ضخامة هذه المدرسة وفخامتها أن قال عنها السيوطى بأنه ينبغي أن يقال لها تاج المدارس، وأنها أعظم مدارس الدنيا على الإطلاق لشرفها بجوار الإمام الشافعي ولأنه بانيها أعظم الملوك ليس في ملوك الإسلام قبله ولا بعده (ابن الجبير،2002) بناها صلاح الدين بن أيوب رحمه الله تعالى سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة /1176م (ابن الواصل،1957) اما الرحالة الأندلس ابن جبير(المقريزي،1997) الذي زار مصر في هذه الفترة وزار هذه المدرسة قبل أن يكتمل بناؤها فقد بهرته ضخامة البناء واتساعه، وما أنشئ فيها من المرافق كالحمامات، وعجب من النفقات الكثيرة التي أنفقت عليها.

وذكر أن السلطان صلاح الدين كان يقوم للشيخ الخبوشاني المسرف على عمارتها (( زد احتفالاً وتأنقا وعلينا القيام بمؤنه ذلك كله ))(شهبه،1971) كما أنشئ أيضاً بهذه المدرسة المساكن الخاصة بالمدرسين والطلبة (ابن العماد،1986) أما الشيخ نجم الدين الذي تولى النظر عليها وتدريسها فقد خصص له راتباً أربعين ديناراً عن قيامه بوظيفة التدريس وعشرة دنانير عن قيامه بوظيفة النظر في أوقاف المدرسة، هذا بالإضافة إلى راتب عيني يصرف له كل يوم عبارة عن ستين رطلا من الخبز وراويتين من ماء النيل، كما عين بها اثنين من المعيدين لمساعدة المدرس في وظيفة التدريس ورتب بها عدة من الطلبة (أبو شامة،1997) كذلك أنشأ صلاح الدين مدرسة أخرى بجوار المشهد الحسيني سميت بالمشهد (السكبي،1413هـ) ويبدو أنها لم ترق إلى مكانه باقي المدارس التي أنشأها صلاح الدين.

ومن الملاحظ أن جميع هذه المدارس التي شيدها صلاح الدين بمصر والقاهرة كانت مجاورة (حسن،1933) لأماكن العبادة والتبرك سواء لجامع عمرو أم لضريح الشافعي أو المشهد الحسيني وهذا يعطي فكرة مواضحة عن مدى بعد نظره وربطه المدارس السنية الجديدة بأماكن العبادات التي لها كل احترام في نفوس المصريين فضلاً عن اكتساب الشهرة لهذه المدارس نتيجة ارتباطها بأسماء هذه الأماكن (الحنبلي،1996) على أن اهتمام صلاح الدين بإنشاء المدارس لم يكن مقصورا على مصر والقاهرة فقط وإنما امتد هذا الاهتمام أيضاً إلى مدينة الإسكندرية، واستغل زيارته لها في السابع عشر من شوال سنة 577هـ 23 فبراير 1181م وأنشأ بها مارستانا وداراً للمغاربة ومدرسة على ضريح المعظم تور أنشاه (ابن العبري،1992) ووفر للدارسين فيها كل ما يحتاجونه من مساكن يأوون إليها، ووفر لهم الخبر الذي يوزع عليهم كل يوم ورتب لهم المدرسين في مختلف العلوم وهيأ لهم الرعاية الصحية، يقول ابن جبر(ابن العبري،1992) واتسع اعتناء السلطان بهؤلاء الغرباء الطارئين بأمر بتعيين حمامات يستحمون فيها متى احتاجوا إلى ذلك ونصب لهم ما رستانا لعلاج من مرض منهم ووكل بهم أطباء يتفقدون أحوالهم وتحت أيديهم خدام يأمرونهم بالنظر في مصالحهم (المقريزي،1998) ولم يكن اهتمام صلاح الدين مقصوراً على بناء المدارس وتوفير الأوقات للصرف من ريعها على المدرسين والطلبة وتوفير المساكن للغرباء، بل كان له اهتمامه الشخصي بالعلم وخاصة بالحديث. وقد انتهز فرصة وجوده بالإسكندرية وسمع الموطأ على الفقيه أبى الطاهر بن عوف هو وأولاده ومن حضر معه، كما سمع أ يضأ من الحافظ السلفي. يقول السيوطى (ورحل إلى الإسكندرية بولديه والعزيز لسماع الحديث من السلفي، ولم يعهد ذلك لملك بعد هارون الرشيد (ابن خلكان،1978) والثابت تاريخياً أن كلا من ابن عوف والسلفي (ابن ايبك،1980) كانت له مدرسه بالإسكندرية. المدرسة العوفية للشافعية كما سبقتهم بقليل مدرسة أبي بكر الطرطوشى (المقريزي،1997) ولكن أثر صلاح الدين يبدو في أدخل نظام المدرسة بمعناها المتطور والمعروف الذي أسسه نظام الملك، ومن بعده الزنكيون في العراق والشام. بمعنى أن تصبح المدرسة مؤسسة رسمية لها نظامها العلمي والمالي. كما أن لها مواردها الثابتة التي تمكنهم من الاستمرار في أداء رسالتها. وهذا العمل قام به صلاح الدين (عاشور،1961) لم يلبث أن أصبح قدوة ومثلاً طيباً لأمراء دولته وفضلائها الذين ساروا على طريقة وأنشئوا العدد الكثير من المدارس (التي انتشرت في معظم البلاد المصرية) (فكري،1961). وفي هذه النهضة التعليمية على أيام صلاح الدين ينبغي ألا نغفل الدور العظيم الذي قام بها القاضي الفاضل الذي قال عنه صلاح الدين في ملأ من الناس لا تظنوا ملكت البلاد بسيوفكم بل بقلم الفاضل (حسن،1933) وكان اهتمام الفاضل بالأدب والعلم بالغا. يذكر أنه اشترى من كتب الفاطميين ما يقرب من مائه ألف مجلدة وبفصل تأثيره أخذ العلماء والطلاب يفدون إلى مدارس مصر من أقصى البلاد، ومن هؤلاء ابن فرو الذي استهوته إحياء العلوم والثقافة فجاء إلى مصر من أقصى بلاد الأندلس، ولما جلس هذا الفقيه في حلقة الدرس التف حوله جمهور من المستمعين فقربه إليه القاضي

الفاضل وأنزله داره( ابن خلكان،1978) كذلك كفل الفاضل ابن الخلال الذي تتلمذا على يديه بديوان الإنشاء الفاطمي بعد أن طعن السن وعجز عن الحركة، ويقال ( إن القاضي الفاضل كان يرعى له حق الصحبة والتعليم فكان يجري عليه كل ما يحتاج إلى أن مات ) (ابن خلكان،1933) ولعل هذا الاهتمام من الفاضل بعلماء المسلمين أمر طبيعي وإنما الذي يدل على تقديره وحبه للعلماء دون تفرقه هو اشتماله للعالم اليهودي الطيب موسي بن ميمون الأندلسي الذي نزل الفسطاط وقرر له الفاضل راتبا. وكان ابن ميمون قد أسلم ثم أرتد وأراد أحد مسلمي الأندلس بمصر إيذاءه في ذلك فمنعه القاضي الفاضل وقال له رجل يكره لا يصح إسلامه شرعا (ابن العبري،1963) وكانت لابن ميمون هذا تصفيات جيدة في الرياضة والطب وألف كتابا في شريعة اليهود، ولكنه اضطر إلى إخفائها بعد أن أنكرها عليه مقدمة اليهود ووصفوه بالكفر. أما عن اهتمام القاضي الفاضل بالكتب فقد اقتنى منها الأعداد الكثيرة في كل الفنون فبالإضافة إلى ما اشتراه من كتب الفاطميين كان عنده عدد من النساخ والمجلدين لنسخ ما يكلفهم به. ويحكى أن ابنه أراد قراءة كتاب الحماسة فأمر الفاضل بإحضار ما عنده منها لاختيار واحدة لقراءة ابنه فأحضروا إليه خمسة وثلاثين نسخة كلها بخطوط منسوبة، فقال ليس منها ما تبتذله الصبيان واشترى له نسخة بدينار (ابن العماد،1986) وتتويجا للدور الكبير الذي قام به القاضي الفاضل في رعايته للعلماء أنه أنشأ مدرسة لتدريس فقه مذهبي مالك والشافعي بالدرب المعروف بدرب ملوخيا، يقول ابن خلكان ((ورأيت بخطه)) يقصد خط القاضي الفاضل ((أنه استفتح التدريس بها يوم السبت مستهل المحرم سنة ثمانين وخمسمائة )) (المقريزي،1998)14ابريل 1184م الجديد في هذه المدرسة أنه لأول مرة بمصر يجتمع طلبة مذهبين في مدرسة واحدة، كما انه ربما تكون أول مدرسة تزود بمكتبة ضخمة إذ إنه زودها بمجموعة قيمة من الكتب في سائر العلوم يقال إنها كانت مائة ألف مجلدة وجعل في المدرسة قاعة للإقراء وتولى الإقراء فيها الأمام الشاطبي (ابن خلكان،1948) ورتب لتدريس فقه المذهبين الفقيه أبا القاسم عبد الرحمن بن سلامة الإسكندراني(kate،p356 ) كانت السياسة التعليمية في تلك العصور تعتمد أساساً (المقريزي،1998) على اهتمام السلاطين والأمراء وتشجيعهم، فإذا كان السلطان من المهتمين بالعلوم والمشتغلين بها ازدهرت العلوم في عهده وتحسنت أموال العلماء نظير ما يلاقونه من رعاية واهتمام وتوفير الأرزاق التي تعينهم على طلب العلم وتعليمه.

وقد سار السلطان الملك الكامل الأيوبي على طريق من سبقه من ملوك بني أيوب فقد كان محباً للعلم والعلماء، ويؤثر مجالستهم وله اهتمام وشغف بسماع الحديث النبوي ((وحدث بالإجازة عن ابن برى، وأبي القاسم بن الصفراوي أربعين حديثاً)) (ابن ايبك،1980) وبلغ من شغف الملك الكامل بالعلم أنه كان يبيت عنده بالقلعة مجموعة من العلماء ينصب لهم أسرة ينامون عليها بجانب سريره ليسامروه.(المقريزي،1997) وكانت عنده مسائل غريبة في الفقه والنحو يمتحن بها العلماء مباحثاتهم ويسألهم عن المواضع المشكلة من كل فن وهو معهم كواحد منهم و(الحنبلي،1996) اشتملت مجالسه العلمية على معظم فروع الأدب والمعرفة، وكانت عنده ملكة حفظ الشعر وتذوقه، كذلك كان يقرض الشعر ويبارى العلماء والشعراء بما يحفظ من شعر(ابن دقماق،1986)، فيذكر أنه في أحد المجالس أنشده أحد الحاضرين قصيدة الشيخ ابن الفارض التائية فأعجب بها وسأل عن صحبها فلما أخبروه أمره، أمر أن يرسل بألف دينار برسم الفقراء الواردين عليه وأمر الرسول بأنه إذا قيل الشيخ الهدية أن يسأله الحضور لدى السلطان، ولكن الشيخ رفض الهدية فلم يمنع ذلك الملك الكامل من محاولة زيارته بنفسه وقال (( مثل هذا الشيخ يكون في زماني ولا أزوره )) (حلمي،1945) وهذا يدل على إلمام الكامل وحبه للشعر ورعايته واحتضانه للعلماء حتى الذين لم يعرفوهم إلا من أعمالهم الأدبية والعلمية كذلك عمر قاعة بقلعة الجبل يجلس فيها مع الفقهاء والصالحين في شهر رمضان سماها قاعة رمضان (النويري،2004) ومن القصص الطريفة التي تذكر عن الملك الكامل أنه بعد توقيع الصلح مع

الإمبراطور فرديك الثاني سنة 626هـ / 1229م تطورت العلاقة بينهما إلى صداقة (عاشور،1961) نظراً لتشابه ميولهما من الإلمام بالعلوم والاهتمام بها، فكان فرديك عالما متبحراً في علم الهندسة والحساب والرياضيات، وأرسل إلى الملك الكامل (ابن واصل،1957) بعدة مسائل في الهندسة والحكمة والرياضة فعرضها على الشيخ علم الدين قصير الحنفي (المقريزي،1997) المعروف بتعاسيف وغيره فكتب جوابها وهذه القصة إنما تدلنا على مدى اهتمام الملك الكامل وذيوع صيته كعالم من العلماء وراع للعلوم، فإذا كان الأوربيون قد عرفوا عنه ذلك ووطد أواصر الصداقة بينهم وبينه عن طريق المسائل العلمية، فمما لاشك فيه أن تصبح مصر في عهد مركزاً لتجمع الفقهاء والعلماء وأصحاب الفضل الذين أغدق عليهم وشملهم بعطفه ورعايته.

ونتيجة لهذه السياسة قصده العلماء وأرباب الفضائل فكان يكرمهم ويطلق لمن يأتيه منهم الأرزاق الوافرة الدارة فممن قصد التاج ابن الأرموى وأفضل الدين الخونجي (ابن العماد،1986) والقاضي شمس الدين الأرموي (ابن ايبك،1982) قاضي العسكر وهؤلاء أئمة وقتهم في المنقول والمعقول،(المقريزي1997) ويذكر أنه حدث أثناء زيارته مدينة دمشق أن التقى بالشيخ زين الدين الزواوى وكان أحد أئمة عصره في النحو واللغة فرغبه في الانتقال إلى مصر، فسافر إليها وتصدر بجامع عمرو(ابن خلكان،1948) وكان الملك يعين جزءاً من زكوات الأموات ويجعلها معاليم للفقهاء والصلحاء(المقريزي1998) ولما كان الملك الكامل من المشتغلين بالحديث (النويري،2004) وحدث بالإجازة عن العلماء فقد أنشاء بمصر أول مدرسة متخصصة لتدريس علم الحديث(ابن ايبك،1980) وقد تم أنشاء هذه المدرسة في سنة إحدى وعشرين وستمائة (ابن كثير،1998) بخط بين القصرين وسميت بدار الحديث الكاملية. ولم تعرف دور الحديث في الإسلام إلا في عهد نور الدين محمود(السيوطي،1964)

ويذكر المقريزي(1998) أن الملك الكامل وقف هذه الدار على المشتغلين بالحديث النبوي ثم من بعدهم على الفقهاء الشافعية، وأول من تولى تدريس هذه الدار الحافظ أبو الخطاب بن دحيه (الذهبي،1957) وكان من المقربين للملك الكامل، يذكر أن الكامل بنى هذه الدار خصيصاً له ليقوم بتدريس الحديث بها.

كذلك تم ترتيب الأوقاف اللازمة للصرف من ريعها على المدرسة وأساتذتها وطلبتها كما أنشاء فيها منازل يسكن بها الطلبة والمدرسون وجعل لها خزانة كتب يليها أحد الرجال المثقفين(ابن ايبك،1980) كان بناء هذه المدرسة الصالحة (فكري،161) بمثابة إتمام وإكمال لتطور نظام المدرسة وإكمال شخصيتها، إذ بدأت هذه الحركة بإنشاء مدراس مفردة تقوم أساساً بتدريس مذهب واحد من المذاهب السنية الأربعة، ثم تطورت إلى أن جمعت بين مذهبين، فنجد مدرسة القاضي الفاضل تجمع بين درسين للشافعية والمالكية واستمر سلاطين بني أيوب وأمراؤهم بل وأميرتهم أيضا يحرصون على تشييد المدارس(ابن كثير،1998) ورصد الأوقات لضمان استمرارها أداء رسالتها العملية حتى أنشأ الملك الكامل مدرسة مستقلة لتدريس الحديث النبوي وتبع ذلك إنشاء الملك الصالح المدرسة الصالحية بين القصرين، وكان موضعها جزءاً من القصر الكبير الشرقي فابتدأ بهدم موضعها في ذي الحجة سنة 639هـ يونية 1241م ويذكر المقريزي أن الملك الصالح استخدام عدداً كبيراً من أسرى الفرنج في تشييد عمائره ومنها المدرسة الصالحية(المقريزي،1997) وبعد إتمام المدرسة وقفها الملك الصالح على طوائف الفقهاء الشافعية والمالكية والحنفية والحنابلة وبذلك تكون المدرسة الصالحية أول مدرسة بمصر ( تشمل دروساً أربعة في مكان واحد ) (المقريزي،1998) والواقع أن الملك الصالح لم يكن مبدعاً لهذا النوع من المدارس المشتركة لتدريس المذاهب السنية الأربعة (ناجي،1666)، إذ سبق ذلك قيام المدرسة المستنصرية لم يكن بها سوى إيوانين اثنين، أما المدرسة الصالحية فكانت تشمل على أربعة اوين كل إيوان منها خاص لطلبة مذهب من المذاهب السنية الأربعة (kate،p354 ) وأول من تولى إلقاء التدريس بها من مدرسي الحنابلة قاضي القضاة شمس الدين (المقريزي،1998) أبو بكر محمد بن العماد إبراهيم بن عبد الواحد

على بن سرور المقدسى الحنبلي الصالحى وهذه أول مرة يكون للحنابلة فيها مدرسة إذ لم يسبق أن أقيمت لهم مدرسة قبل ذلك سواء كانت خاصة بهم أو مشتركة مع غيرهم من المذاهب السنية الأخرى، وربما كان السبب في ذلك قلة عدد الحنابلة بمصر، ولكن الراجح هو وجود بعض العداء بين الحنابلة والأشاعرة مما سبب الكثير من الفتن. ويذكر النويري أن الملك الصالح بعد فراغه من عمارة هذه المدرسة ندم وتمنى لو أنه بنى مكانها جامعاً يرتب فيه الدروس الأربعة التي رتبها في هذه المدرسة و(النويري،2004)إذا كان الملك الكامل مولعاً بالعلم وله مجالس خاصة يعقدها ويناقش فيها العلماء والأدباء وأنه كان مغرماً بعلم الحديث فبالرغم من ميله إلى مطالعة الكتب إلا أنه لم يكن عند حماسة الكامل ولا ثقافته ولم يكن بينه وبين العلماء كثيراً من الود إلا أنه كان مغرماً بالعمائر ويشرف على البناء بنفسه ويهندسه بعقله بمالاً يصل إليه المهندسون(ابن ايبك،1980) وبنى الكثير من القلاع والقصور. وكانت هذه المدرسة مبنية مساحة واسعة من الأرض لا تقل عن ستة آلاف متر مربع وتألفت من قسمين (ابن بردي،1963): أحدهما على يمين الداخل من الباب العمومي والثاني على يساره وهما ما عبر عنها باسم مدرستين، وبكل مدرسة منها إيوانان ويتوسط البنائين صحن كبير وخصص الإيوانان اللذان على اليمين للحنابلة والحنفية، أما الإيوانان اللذان على اليسار فقد خصص أحدهما للمالكية والأخرى للشافعية.

## الخاتمة:

بناء على ما خلص إليه البحث إلى مجموعة من النتائج والتوصيات الأساسية أما النتائج أهمها:

## نتائج البحث:

**أولاً:** كان لاستيلاء الأيوبيين على الحكم في مصر ومحاولتهم القضاء على المذهب الشيعي أثر كبير على الحياة العلمية السائدة في مصر في ذلك الوقت وأن التعليم في العصر الفاطمي كان خاضعاً لإشراف الدولة وموجها نحو نشر المذهب الشيعي الذي يخالف المذاهب السنية في نواحي عدة.

**ثانياً:** المنهجية والخطة الاستراتيجية التي وضعها الخليفة صلاح الدين الأيوبي لتنظيم المدارس والعلماء شكلاً ومضموناً، واعطائها طابع مالي تنظيمي يشمل الهيكلة التعليمية لتحفيز العلماء وطلابهم للاستمرار بنشر العلم وتعلمه.

**ثالثاً:** شهدت مصر معركة فقهية أخرى بين طائفتين من طوائف أهل السنة: الطائفة الأولى الأشاعرة، والطائفة الثانية المذهب الحنبلي.

**رابعا:** نتبين كيف ان توجه وطابع المدارس والتعليم في مصر اتبع المنهج السياسي التابع للحكم في الدولة باختلاف حكامها.

**خامساً:** تحول مفهوم المدارس من مكان لنشر العلم إلى منبراً سياسياً على امتداد العصر الأيوبي وما قبله في مصر.

**سادساً:** انتقال الحكم للمدارس والتعليم من الحكم الأرستقراطي والاوتوقراطي إلى الحكم البيروقراطي في عهد الحكم الأيوبي.

## توصيات البحث:

1- أن تعريف المدرسة، ومدلولاتها اللغوية التاريخية الإسلامية، كيف بدأت، وتطورت، كانت تعتمد على الفكرية الدينية وبعدت كل البعد عن معناها الحقيقي لنشر العلم والمعرفة والوعي وذلك بعيد كل البعد عن معنى المدرسة المحايد الذي كان هدفه نشر العلم ومحاربة الجهل بالقراءة والكتابة والاطلاع لتنوير والتحضر.

2- ان الدولة الفاطمية لعبت دورا استراتيجيا في الفكرية العقائدية لدى الطلاب وانتماءاتهم السياسية حيث كان الاجدر التركيز على أنشاء مدارس حيادية دينياً ومتعمقة علمياً وبحثياً.

3- لقيت المدرسة والعلماء الاهتمام في أوساط البلاط الحاكم وذلك يدل على قوة تأثير هذه الشريحة المجتمعية في التغيير والتأثير وهو الوسيلة الفعالة لنشر او تغيير الأيديولوجية الثقافية لأي مجتمع.

4- الدور الذي لعبه صلاح الدين الأيوبي لتغيير تعريف المدرسة. وتأثيره على وجهة نظر العلماء في منهجية التعليم المدفوع بأجر وتخصيص المال كرواتب للعلماء هو ما نمى حس الرفعة وعلو المكانة والسلطة لدى المجتمع

5- المنهجية والخطة الاستراتيجية التي وضعها الخليفة صلاح الدين الأيوبي لتنظيم المدارس والعلماء وجعلها في إطار محدد واعطائها طابع مالي تنظيمي يشمل الهيكلية التعليمية أدى إلى تحفيز العلماء وطلابهم للاستمرار بنشر العلم وتعلمه لذلك يجب الاهتمام بهذه الفئة من المجتمع بشكل تنظيمي مدروس وتحت هيكلة واضحة وعميقة.

## المصادر والمراجع:

### المصادر والمراجع العربية:

1- الحنبلي، احمد إبراهيم. (1996)، شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، القاهرة: الثقافة الدينية.
2- عبد العاطي، عبد الغني. (1975م.)، التعليم في مصر زمن الأيوبيين والمماليك، القاهرة: دار الدعوة.
3- ابن منظور، محمد بن مكرم. (1912م)، لسان العرب، القاهرة: دار المعارف.
4- الزبيدي، محمد مرتضى. (1944م)، تاج العروس، بيروت: دار الفكر.
5- سورة الأعراف رقم الآية 169وسورة سبأ رقم الآية 44سورة القلم الآية رقم 37
6- ابن الأثير، عزالدين أبي الحسن. (1963م)، النهاية في غريب الحديث والاثر، ج2، القاهرة: دار المعارف.
7- غنيمة، محمد عبد الرحيم. (1911)، لسان العرب، مصر: دار المعارف.
8- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله. (1957)، تذكرة الحفاظ، الهند: مجلس المعارف العثمانية.
9- السمعاني، عبد الكريم بن محمد. (1962)، الانساب 81 ليدن، حيدر باد: مجلس دائرة المعارف العثمانية.
10- ناجي، معروف ناجي. (1966)، نشأة المدارس المستقلة، بغداد: مطبعة الازهر.
11- الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين. (1966) إعلام المساجد بأحكام المساجد، القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.
12- السيوطي، عبد الرحمن أبو بكر. (1964)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، القاهرة: دار الكتب العلمية.
13- المقريزي، احمد بن علي. (1998)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار، ج2، القاهرة: دار الكتب العلمية.
14- ابن الأثير، عز الدين ابي الحسن. (1997)، الكامل في التاريخ، ج10، القاهرة: دار الكتب العلمية.
15- ابن الاكفاني، محمد إبراهيم. (1439هـ)، إشارة القاصد إلى اسنى المقاصد، مخطط بدار الكتب المصرية ومعهد المخطوطات تحقيق عبد المنعم محمد عمر، القاهرة.
16- العيني، بدر الدين محمود. (2010)، عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان، ج1، القاهرة: دار الكتب والوثائق المصرية.
17- محبوبة، عبد الهادي رضا. (1999)، من رسائل نظام الملك، ج2، مجلة معهد المخطوطات العربية: القاهرة.
18- زيان، حامد. (1972)، حلب في العصر الزنكي رسالة ماجستير أدب، جامعة الازهر مصر: مكتبة جامعة الازهر.
19- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد. (1968)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم، القاهرة: بولاق.
20- ابن الوردي، عمر بن مظفر. (1996)، تاريخ ابن الوردي، ج2، بيروت: دار الكتب العلمية.

21- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن. (1992)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج10، بيروت: دار الكتب العلمية.
22- بيومي، علي. (1925)، قيام الدولة الأيوبية في مصر، الإسكندرية: دار الفكر الحديث.
23- المقريزي، احمد بن علي. (1997)، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج1، بيروت: دار الكتب العلمية.
24- عنان، محمد عبد الله. (1958)، تاريخ الجامع الازهرفي العصر الفاطمي، القاهرة، الخانجي.
25- بردي، يوسف ابن تغرى. (1963)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة: وزارة الثقافة.
26- حلمي، محمد مصطفى. (1945)، ابن الفارض والحب الإلهي، القاهرة: دار المعارف.
27- ابن شداد، يوسف بن رافعة. (1994)، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، القاهرة: الخانجي.
28- ابن دقماق، محمد كمال الدين. (1986)، الجواهر الثمين في سير الملوك والسلاطين، دراسة وتعريف: مجلة معهد المخطوطات العربية
29- ابن خلكان، احمد بن محمد(1972). وفيات الاعيان وأنباء انباء الزمان، بيروت: دار صادر.
30- ابن آيبك، أبو بكر عبد الله. (1982) كتاب كنز الدار وجامع الغرر، القاهرة: دار مصطفى حلبي.
31- ربيع، حسن محمد. (1964)، النظم المالية في مصر في زمن الأيوبيين، القاهرة: جامعة القاهرة.
32- الشهر ستاني، محمد بن عبد الكريم. (1968)، الملل والنحل، ج1، القاهرة: مطبعة الحلبي.
33- ابن جبير، محمد بن احمد. (2002) رحلة ابن جبير في وصف مرحلة مصر الذهبية، القاهرة: دار المعارف.
34- شلبي، أحمد. (1983)، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ،القاهرة: مكتبة النهضة العربية.
35- ابن الزيات، محمح بن محمد. (1968)، الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة، بغداد: مكتبة المثنى.
36- أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن. (1997)، الروضتين في احبار الدولتين النورية والصلاحية، بيروت: مؤسسة الرسالة.
37- السكبي، تاج الدين. (1413هـ) طبقات الشافعية الكبرى، القاهرة: هجر لنشر.
38- حسن، إبراهيم حسن. (1933)، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، القاهرة: دار الجيل.
39- عاشور، سعيد عبد الفتاح. (1961)، (العلاقات الدبلوماسية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى) دبلوماسية العلاقات بين الامبراطور فريدريك الثاني الأيوبيين، ط1، مجلة الجمعية التاريخية. دمشق. دار المعارف.
40- فكري، احمد. (1969)، مساجد القاهرة ومدارسها، القاهرة: دار المعارف.
41- النويري، احمد عبد الوهاب. (2005)، نهاية الارب في فنون الادب، لبنان: دار الكتب العلمية.

**Foreign references:**

1- Encyclopaedia of gilaunu vol.3 pent p356
2- katefleet, Gudrun, Denis, Encyclopaedia of Islam vol.3-part p353- 354
3- Stanley lane Lane, Poole the story of Cairo p.185

جميع الحقوق محفوظة © 2023، الأستاذ الدكتور/ يحيى بن حمزة الوزنة السليماني، المجلة الأكاديمية للأبحاث والنشر العلمي
(CC BY NC)

**Doi:** https://doi.org/10.52132/Ajrsp/v4.48.16